القضايا الصوتية في كتاب النقائض

ضياء الدين عثمان محمد و محمد داؤود محمد
[1.2] جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات

المستخلص :

تهدف هذه الدِّراسة إلى الوقوف على القضايا الصوتية التي أشار إليها أبوعبيدة في كتاب النقائض ،وذلك مِنْ خلال مقارنة أقواله وآرائه بأقوال وآراءجميع علماء اللغة ، مع تصنيفها وتحليلها تحليلاً علميّاً منطقيّاً. وقد اهتدت هذه الدِّراسة إلى أهمِّ معالم الإنتاج العلمي لأبي عبيدة في دراسة الأصوات العربية مِنْ خلال ملحوظاته ، وتعليقاته الصوتية التي تضمَّنها كتاب النقائض.

وقد تضمَّنَت الدِّراسة ترجمةً لأبي عبيدة ،ومِنْ ثَمَّ ومِنْ خلال البحث والتقصِّي وُجِدَتْ مادةٌ صوتية غزيرةٌ في كتاب النقائض تمثَّلت في القوانين الصوتية (المُماثلة،والمُخالفة، وقانون القلب المكاني)، والمعاقبة في الصَّوائت والصَّوامت . كما تبيَّن أنَّ أبا عبيدة أولى عناية كبيرة لدراسة الهمزة. وأخيراً توصَّلت الدِّراسة إلى وجود تأثير واضح ومباشر للأفكار الصوتية التي أشار إليها أبو عبيدة على بعض علماء اللغة القدامى والمحدثين.

وقد ذُيِّلت الدِّراسة بخاتمةٍ اشتملت على أهمِّ نتائج البحث، ومجموعة من التوصيات ، ثم ختمت بقائمة للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : *الفونيمات – مخارج الحروف – صفات الحروف.*

ABSTRACT:

The study investigates the phonological problems indicated by Abuobeida in his seminal book 'ALNagaid ' , (contradictions). The study compares Abuobeida's views with those of his contemporary linguistic scholars based on a logical, scientific classification and analysis . The study discusses Abuobeida's most significant scientific production in Arabic phonological systems via his observation and comments in the book .

The study presents Abuobida's autobiography and investigation of his work. The book includes abundant phonological information relating to phonogical rules such as assimilation difference , inflection and succession of vowels and consonants. The study also found that Abuobeida has given special attention to the study of /a/ sound (Hamza). The study concludes that Abuobeida's phonological concepts have influenced both ancient and modern linguistics scholars. The conclusion of the study includes the most important findings, recommendations and a list of references .

المقدمة :

عني اللغويّون العرب بدراسة الأصوات منذ وقت مبكّر، إذْ لم تكن عملية جمع اللغة وتدوينها قد انتهت حتَّى شرع الخليل بن أحمد (ت175هـ) بإنشاء معجمه(كتاب العين)الذي بُني ترتيب الكلمات فيه على مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصَّوتي، وليس ابتداع هذاالأمر على الخليل بمستغرب فهو من العباقرة الذين أُتوا عقولاً خصْبةً ما إن تمسّ أمراً حتَّى تفتح الأغلاق وتزول الطلاسم، والخليل كما وصفه ابن المقفع كان عقله أكبر من علمه،وهو عقل جعل له ثراء في التفكير ،ودقة في الاستنباط، وعمقاً في الدَّرس، ولذلك يجد الدَّارس لدى الخليل تعدّداً في مجالات البحث إلى جانب الابتكار والسبق حتَّى كاد لا يترك في بعض الأمور لِمَن جاؤوا بعده شيئاً يضيفونه إليه.

ثم جاء من بعده تلميذه النَّابه سيبويه (ت180هـ) فعرض للدراسة الصَّوتية في كتابه (الكتاب) في مواضع عديدة، منها الإدغام ، والإبدال ، والإمالة، وأحوال الهمز .

ومن العلماء الذ ين اهتموا بدراسة الأصوات اللغوية أبو عبيدة مَعْمر بن المثنَّى ، وقد جاءت بعض آرائه الصَّوتية متناثرة في كتاب النقائض ، وهي جديرة بالدِّراسة الوصفية التحليلية.

وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى الآتي:

مشكلة البحث:

لأبي عبيدة جُهْد واضح في دراسة الأصوات العربية، وما يعتريها من تغيّرات حيث كشفت القراءة الأولى لكتاب النقائض عن مقولات صوتية على درجة كبيرة من الأهمية مِّما جعل هذا البحث يتجه نحو العِناية بجهوده في هذا المجال.

أهداف البحث:

1/ الوقوف على بعض القضايا الصوتية التي أشار إليها أبو عبيدة في كتاب النقائض.

2/ الإحاطة بالسِّمات العامة لمنهج أبي عبيدة في مجال الدِّراسات الصوتية.

3/ التعريف بمكانة أبي عبيدة العلمية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية موضوع هذا البحث في أنَّه يتناول القضايا الصوتية بما لها من مكانة عظيمة في الدَّرس اللغوي من خلال كتاب النقائض.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

1/ ما أهم الموضوعات الصوتية التي أشار إليها أبوعبيدة في كتاب النقائض؟

2 / ما المصطلحات الصّوتية التي استخدمها أبو عبيدة من خلال شرحه لكتاب النقائض؟

3 / ما أثر آراء أبي عبيدة الصَّوتية في الدَّرس اللغوي الحديث؟

4 / ما السِّمات العامّة لمنهج أبي عبيدة اللغوي؟

حدود البحث:

يختص هذا البحث بمعرفة القضايا الصَّوتية التي أشار إليها أبو عبيدة في ثنايا شرحه لكتاب النقائض من خلال الوصف والتحليل .

منهجية البحث:

إنَّ أهّم ما يميِّز علم اللغة الحديث الذي يستخدم المنهج العلمي في دراسة اللغة عن المناهج التقليدية أنَّه يعتمد على وصف اللغة –على ما هي عليه–وصفاً قائماً على الملاحظة المباشرة في وقتٍ ومكانٍ محدَّدين ، بل وفي مستوى محدِّد فأيّة دراسة صوتية لإحدى اللغات أو اللهجات القديمة أو الحديثة تُعَدُّ دراسة وصفية .

المصطلحات:

الإطار العام للبحث:

يشتمل الإطار العام لهذا البحث على :

1/ ترجمة أبي عبيدة.

2/ القوانين الصوتية في كتاب النقائض.

3/ إبدال الهمزة.

4/ المعاقبة في الصَّوائت.

5/ المعاقبة في الصَّوامت.

أولاً ترجمة أبي عبيدة:

أ/ اسمه- أصله- مولده:

هو أبوعبيدة مَعْمر بن المثنّى التيمي البصري النَّحوي العلاّمة ، مِنْ تيم قريش لا تيم الرِّباب ،وهو مولى لهم، ويقال هو مولى لبني عبيد الله بن مَعْمر التيمي(ابن الأنباري ،95) .قال رجل لأبي عبيدة : يا أباعبيدة، قد نَكَّتَ النَّاس وطَعَنْتَ في أنسابهم ،فبالله ألأعرَّفنتي من كان أبوك وما أصله ؟فقال :حدَّثني أبي أنَّ أباه كان يهودياً بباجروان، فمضى الرَّجل وتركه.

ويقال إنَّه وُلد سنة عشر ومائة في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، فقد سأله الأمير جعفر سليمان بن علي عن مولده ، فقال : قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمرو بن أبي ربيعة المخزومي، قيل له: متى وُلِدت؟ فقال :في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب وأيّ خير رُفع، وأيّ شرٍّ وُضع ! وإني وُلِدتُ في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، وهي ليلة مِنْ سنة عشر ومائة، وجوابي جواب عمرو بن أبي ربيعة(القفطي 1955،283/3)

ب/ منزلته العلمية:

قال ألو العبَّاس المبرِّد : "كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنَّسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنَّحو(ابن الأنباري 1998م).وقال الجاحظ : "لم يكن في الأرض خارجي ولاجماعي أعلم بجميع العلوم منه. قَدِم بغداد في أيَّام الرَّشيد، وقرأ بها أشياء من كتبه ،وأسْنَدَ الحديث عن هشام بن عروة وغيره، وروى عنه من البغداديين وغيرهم عليُّ بن المغيرة الأثرم، وأبوعبيدة القاسم بن سُلاّم، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شبه النميري في آخرين(الخطيب البغدادي 1997،52/13)أمَّا يزيد بن مُرَّة فقد قال عنه :"كان أبو عبيدة ما يُفَتِّش في علم من العلوم إلا كان من يفتِّشه عنه يظن أنّه لا يحسن غيره ولا يقوم بشئ أجود من قيامه به"(الحموي1993)

وقال أبوعبيدة : دفعتُ إلى جعفر بن سليمان أمثالاً في الرِّقاع؛ قيل لي: كم كانت؟ قلتُ أربعة عشر ألف مَثَلاً ؛ فانظروا إلى هذه السَّعة في الرِّواية ، وبين ما رواه أبو عبيدة القاسم بن سُلاَم فإنّه لمَّا اجتهد جاء بألف مثل(القفطي1955،2704).

ج/ مذهبه:

كان أبو عبيدة يميل إلى مذهب الخوارج. قال أبو حاتم كان أبو عبيدة يُكرمني على أنَّني من خوارج سجستان. وقال التَّوزي :دخلتُ على أبي عبيدة مسجده وهو جالس وحده في الأرض ، فقال لي: من القائل؟

أقُولُ لَهَا وَقَدْ جَشَأَتْ وَجَاشَتْ*** مِنَ الأَطْمَاعِ وَيْكِ لَنْ تُرَاعِي

إِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ *** عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي(القفطي1955،281/3)

فقلتُ: قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي. قال فضّ الله فاك! فهلاّ قلت لأمير المؤمنين أبي نعامة، ثم قال لي: أجْلِسْ وأكْتُمْ عَلَيَّ ما سَمِعْتَ مِنِّي، قال : فما ذكرته حتَّى مات.(القفطي1955،281/3)

ويمكن أن نستخلص من ذلك أنّه كانت له ميول نحو الخوارج ربَّما اقتصرت على رؤيتهم السياسية والاجتماعية من المساواة وتداول السُّلطة دون أنْ يتعصّب لهم.

د/ مؤلفاته:

له من الكتب: كتاب مجاز القرآن، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، وغريب الحديث، والّديباج ، وجفوة خالد، والحيوان ،ومغارات قيس واليمن ، وخوابح البحرين ، والأمثال ، واليمامة، والمنافرات، والقبائل ، والخيل ، والإبل، ومقاتل الأشراف، والشعر والشعراء، وفعل أفعل، والمصادر، والمثالب، وبيوتات العرب، واللغات، والغارات ، وكتاب الأوفياء،وما تلحن فيه العَامّة(القفطي 1955،3/285–287) وقد قيل: إنَّ تصانيفه تقارب المائتين.

هـ/ وفاته :

كان سبب موت أبي عبيدة أنَّ محمّد بن القاسم بن سها النُّوشجاني أطعمه موزاً فمات منه ،ثم أتاه أبو العتاهية وقدَّم له موزاً فقال له ما هذا يا أبا جعفر؟ قتلت أباعبيدة بالموز وتريد أن تقتلني به! لقد استحليت قتل العلماء . وقد تُوفيً أبو عبيدة سنة ثمان ومائتين، وقال الصُّوتي سنة سبع، وقال المُظفّر بن يحي سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة ، وله ثمان وتسعون سنة، ولم يحضر جنازته أحد لأنّه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره.(الخطيب البغدادي 1997،2708)

ثانياً : القوانين الصَّوتية في كتاب النقائض:

جَرَتِ العَدة في علماللغة على أنْ يُطلق على التغيرات الصوتية اسم، مثل تلك التي تُسمَّى قوانين (جريمGrimm) المتعلقة بالإبدال المباشر في السواكن الجرمانية .إلاّ أنَّ القوانين الصوتية لا تشبه حتَّى قوانين الطبيعة، تصدق دائماً بقطع النظر عن المكان والزَّمان، فالتيار الكهربائي، إذا وقع تحت ظروف معيّنة سوف يحلّل الماء إلى أوكسجين وهيدروجين ،في أيّ مكان وفي أي زمان ، وسوف يكون في استطاعتنا أيضاً أنْ نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حدٍّ معيَّن .أمَّا قوانين الأصوات فليست لها هذه الخواص، إذ ّها تنبئ فقط عن قدرٍ معين من الاطراد في التطورات السابقة في حدود معينة، من حيث الزمان والمكان ، أي أنَّها تشير إلى أنَّ صوتاً معيناً قد تطور إلى صوت آخر بذاته، في فترة كذا، تحت ظروف معيّنة ومحدَّدة تحديداً دقيقاً .(اولمان 1962، 187– 188)

ولكن الثابت أنَّ التغيرات والتطورات الصَّوتية تخضع لقوانين حاسمة ليس فيها استثناءات، لا تقل في صرامتها واضطرابها عن قوانين الطبيعة . يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: " إنَّ الظواهر اللغوية تسير وفقاً لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس الخاضعة لها ظواهر الفلك والطبيعة"(عبد الواحد2004،20–21).وقد اشتمل كتاب النقائض على القوانين الصوتية التالية:

أ/ قانون المماثلة.

ب/ قانون المخالفة.

ج/ قانون القلب المكاني .

أ/ قانون المماثلة (Assimilation) :

المماثلة ظاهرة صوتية تأتي نتيجة لتأثر الأصوات بعضها ببعض في عملية النطق، ويؤدي هذا التأثير إلى تغير المخرج أو الصفة ،ولكي يحدث انسجام بين الأصوات المتنافرة، ويتم تغييرها بحلول صوت مناسب مكانها، أو بحذفها، أو بفنائها في صوتمناسب وملائم لبقيّة الأصوات في الكلمات .والهدف من هذه التغييرات تقليل الجهد الذي تبذله أعضاء النطق في الأصوات المختلفة المخرج والصفة.(مختار 2006،324)

فالمحدثون من علماء الأصوات اللغوية قرّروا أنَّه قد يتجاوز صوتان لغويَّان ويتأثّر الأوّل منهما بالثاني، واصطلحوا على تسمية هذا النوع من التأثر بالرَّجعي(Regressive).وأحياناً يتأثر الصوت الثاني بالأوّل وسمّوا هذا بالتأثر

التقدّمي(progressive) فتأثر الأصوات بعضها ببعض نوعان: رجعي، وفيه يتأثر الصوت الأوّل بالثاني. وهذا النوع كثير الشيوع في اللغة الفرنسية والعربية أيضاً. وتقدُّمي، وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأوّل وهو الشائع في اللغة الإنجليزية ، كما أنّه قد يوجد أيضاً في اللغة العربية (أنيس ب ت 145) .

والإبدال القياسي الذي يثير إليه النُحاة دائما في صيغة (افتعل) حين تكون فاؤها (دالاً)، أو(ذالاً) أو (زياً) أو أحد أصوات الإطباق يتضمّن نوعي التأثر الرّجعي والتقدُّمي فصياغة (افتعل) من(دَعا ،ونَكر، وزاد) هي في الأصل،(ادتعى، واذتكر، وازتاد) ،فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران:الأوّل منهما مجهور والثاني مهموس فتأثر الثاني بالأوّل وانقلب إلى صوت مجهور أيضاً ليجتمع صوتان مجهوران. ولأنَّ التاء المهموسة حين يجهر بها تصير دالاً أصبحت هذه المثل: ادّعى، واذدكر، وازداد، وهذا تأثر تقدّمي لأنَّ الثاني تأثّر بالأوّل ونُطق بهما صوتاً واحداً كالأوّل،وهذا التأثر تقدُّمي أيضاً، غير أنَّ الشائع الكثير الاستعمال في(اذّدكر) هو(اذّكر) أي أنَّ الصوت الأوّل قد فَنِيَ في الصوت الثاني، وبذلك صار التأثر رجعياً.(أنيس ب ت 146 – 147).

أمَّا أبو عبيدفنجد أنَّه ميَّز بين حالتين :للإدغام وللإبانة، وأوضح أنَّه يقصد بالإدغام الإخماد وهو ما يُسمَّى بالمماثلة.

ومن خلال الأمثلة التي نتناولها عند أبي عبيدة نجد أنّه يتوافق مع التعريفات التي قدمها العلماء المعاصرون للمماثلة.

ومن أمثلة المماثلة في كتاب النقائض ما يلي:

1/ ذكر أبوعبيدة أنّ امرأة من يربوع معها صبية لها من رجل من بني فقيم خرجوا يريدون البصرة فمرّوا بجابية من ماء السماء بالقُبيبة لغالبٍ عليها أمةٌ له تحفظها ، فشرعوا فنهتم الأمة فشيَّعهم –أي جَرأهم– شِغَارٌ على وُرْدها، واستقوا وأتت المرأة أهلها فأخبرتهم الخبر.... فلمَّا قَدِمت البصرة أراد قومها وإخوتها أن يثئروا بها.... فقال أبو عبيدة :(يفتعلوا من الثأر)(أبو عبيدة 1905،216/1)

فقوله :(يفتعلوا من الثأر)؛ أي أنَّه صيغ وزن (يفتعل) من مصدر الفعل (ثأر). حيث تأثر صوت التاء الشديد بصوت الثاء الرِّخو فتحوّل إلى مثله . فأصل الفعل(يثّئر) هو(يثتئر)لأنهما صوتان مهموسان مرققان،وتُسمّى هذه المماثلة (تراجعية).

وأبي الّذي وَرَ د الكُلَابَ مُقَمِّماً *** والخَيْلُ تَحتْ عَجَاجِها الْمُنْجَالِ(الفرزدق ب ت 116/2)

قال أبوعبيدة :(والمنجال هو المنفعل من الجَوَلان)(أبوعبيدة 1905،289/1) أي أنَّه صيغ وزن (المنفعل) من مصدر الفعل(جال) – وهو الجَوَلان ووزن المنفعل من الجَوَلان هو (المِنْجَال) وأصله(مُنْجَوِل) وفيه تأثرصوت الواو– شبه حركة–بصوت الـ جيم، فحُذف الواو لتصير الكلمة(مُنْجَل) ثم أطيلت حركة الجيم(الفتحة) لتصبح الكلمة(منجال) وذلك لأنَّ الواو والجيم صوتان مجهوران، والمماثلة تقدُّمية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي جَاوَزْتُ كَعْباً *** وكَانَ جوارُ بَعْضِ النَّاس غَيّا

فأبلوني بليَّتكم لَعَلّي *** أُصَالِحُكُم وأَسْتَدْبِح ذَوِيّا(أبوعبيدة1905، 408/1)

قال أبو عبيدة: (أراد ذَوَاي) (أبو عبيدة 1905،408/1)

ففي هذا المثال تأثر صوت الفتحة الطويلة – الألف –بصوت الياء الذي بعده . فتحوّل إلى ياء–وهو كسرة طويلة– ثم أُدغمت الياء في الياء فصارت حرفاً مضعّفاً في مماثلة تراجعية ." وهذه لهجة كثير من القبائل العربية في نجد ، وهي إمالة الألف إلى الياء، إذا كان أصلها ياءً مثل:(هَدَى ، وسَعَى) فيقال بالإمالة : هَدِيَ، وسَعِيَ(محمد غانم2006،17).

إذا احْتَبَتْ لي دارِمٌ عَنْ غَايةٍ *** جَرَيْتُ إليها جَرْيَ مَنْ يَتَغَطْرَفُ(الفرزدق ب ت33/2)

قال أبو عبيدة: (... يتغطرف يعني يسود ،ويطلب السؤددة والغطريف السيد، ,يُروى يتخطرف)(أبوعبيدة1905،2574)
وقد وقعت الغين بين صامتين مهموسين (التاء والطاء) ففقدت –أي الغين– صفة الجهر وتحوَّلت إلى نظيرها المهموس وهو الخاء في مماثلة تقدّمية.

وكأنَّ مُتْزِلةً لَهَا بجُلاجِلٍ *** وَحْيُ الزَّبُورِ تَحُفُّهُ الأَحْبَارُ(جرير 2011 ، 155)

قال أبو عبيدة: (الوحي الكتاب ، وإنما أراد أنَّ هذا الموضع مِمَّا مَرَّت به الأمط ار فدُرِس موضعه ، وآمحى كالوحي من الكتاب الذي دُرِس إلاّ أقلّه...)(أبو عبيدة1905 ، 805/2)

فأصل كلمة (آمحى) هو(انمحى)–على وزن انفعل–حيث تأثر صوت النون بصوت الميم لتماثل صفتيهما– فهما صوتان مجهوران–فصارا ميماً مشدّدةً والمماثلة تقدمية.

ب/ قانون المخالفة:

المخالفة ترجمة للفظ الأجنبي (Dissimilation) وهي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنّه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين" فقانون المخالفة يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة؛ فقد عرفنا أنَّ قانون المماثلة يحاول التقريب بين أصوات بينها بعض المخالفات ، أمَّا قانون المخالفة فإنّه يعمد على صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة ،المعروفة في اللاتينيةLiquida وهي :اللام والميم والنون والرَّاء.(عبد التوَّاب1995، 57)

وقد فطنقدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة، وكانوا يعبّرون عنها (بكراهية التضعيف) أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أو(اجتماع الأمثال مكروه)أو(استثقلوا اجتماع حرفين) وغير ذلك، وقد ذكر سيبويه هذه الظاهرة في باب أسماه (هذا باب ما شذّ فأبدل مكان الياء لكراهية التضعيف وليس بمطّرد)(سيبويه2006 ،524/4).وقد ذكر أمثلة لهذه الظاهرة قائلاً:(وذلك قولك :تسرّيت وتظنّيت وتقصّيت من القصّة)(سيبويه2006 ، 224/4).وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أنَّ الإنسان يميل في نطقه إلى تلمُّس الأصوات السهلة التي لاتحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيّام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة.

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس مجموعة من الألفاظ التي قلب فيها أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت لين: (أنيس ب ت 170–171)

1 / المحّ : صُفْرة البياض والماح صفرة البياض.

2/ الجبّ والجوب : القطع.

3/ عسَّ : طاف بالليل ،و العوس: الطوفان بالليل.

4/ قصّيت أظافري، قصصت

5/ حنَّ عليه ، وحنا عليه .

فقد قلب أحد الصوتين المتماثلين في كل مثال من الأمثلة السابقة إلى صوت لين طويل.

وإذا كانأبوعبيدة قد استخدم لفظة التحويل والإدغام في التعبير عن المماثلة فإنّه استخدم مصطلح القلب للتعبير عن المخالفة، كما استخدم مصطلحات خاصة لتعبير عن بعض صورها ؛ مثل التفريق بين الأمثال والإبدال من ثالث الأفعال . وفيما يلي المواضع التي أشار فيها أبو عبيدة إلى قانون المخالفة من خلال شرحه لكتاب النقائض.

لَدى قطريّاتٌ إذا ما تَغَوَّلَتْ*** بِذِي البِيْدِ غَوَلَنَ الخُزُوْمَ القَوَاقِيَا(جرير2011، 500)

قال أبو عبيدة:(وتغوَّلَتْ : تباعَدت، ويُروى تغاولت)(أبوعبيدة 1905، 175/1) فكلمة(مغاملة) ، هي مصدر الفعل (غاول) وأصله (غَوَل) حيث تمَّ قلب أحد الصوتين المتماثلين– وهما الواوان – إلى حرف لين طويل هو الألف.

/ قَدْ كُنْتُ لو نَفَعَ الفَتَى بِهَيْتِهِ ***ألّا يَكُون فَرِيسَةَ الرِّئْبَالِ(الفرزدق ب ت ، 164/2)

قال أبو عبيدة :(أي يطلب الصَّيد وحده لقوّته وثقته بنفسه، ويتربَّل أيضاً) (أبوعبيدة 1905، 283/1)

قال ابن منظور:(الرَّبال: كثرة اللحم والشحم، والرِّبال :النبات الملتف الطويل. وترَّبلت الأرض:اخّضرت بعد اليبس عن إقبال الخريف.وخرجوا يترّبلون أي يتصيّدون)(ابن منظور ب ت، 264/11– 265) وهذا المعنى الأخير هو الذي أشار إليه أبو عبيدة ، فالفعل (يترّبل) يجوز أن يقلب أحد الصوتين المتماثلين (الباءان) إلى صوت لين طويل هو الياء في (يتربل)).

موانعُ للأسْوارِ إلا لأهْلِها *** ويُخْلِفْنَ ما ظَنَّ الغَيُّورُ المُشَفْشِفُ(الفرزد ب ت ،24/2)

قال أبو عبيدة :(والمُشَفَّف ، فكرَّر الشين كما قالوا تَمْعٌ مكفكف وقد تجفف الشئ من الجُفوف وأصله تَجَفَّف وهذه ثلاثة أحرف من جنس واحد يُكره جَمْعُها ففرَّقوا بينهما بحرفٍ من الكَلِمة وهو فاءُ الفِعل).(أبو عبيدة 1905 ، 550/2)

جاء في لسان العرب:(المشفشف الذي شفّت الغيرةُ فؤاده فأضمرته وهزلته، فكرّر الشين والفاء تبليغاً كما قالوا:مجتجث،وتجفجف الثوب، الشفشف الذي تأتي به رِعدة واختلاطاً من شِدّة الغيرة. والشفشفة الارتعاد والخلط .والشفشفة سوء الظن مع الغيرة)(ابن منظور ب ت 9, 182– 183) .

فابن منظور علّل تكرار(الشين والفاء) بأنّه تبليغ ولم يُشر إلى الناحية الصوتية في ذلك. ولكن الثابت أنَّه تمَّ التفريق بين ثلاثة أحرف من جنس واحد –وهي الفاءات وذلك بتكرار فاء الكلمة (الشين)، فـ(مشفشف) أصلها (مشقّف)) . وهدفهم من ذلك التسهيل والتيسير.

ج/ قانون القلب المكاني:

القلب المكاني هو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على اللّوق، وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك. ويرى فندريس أنَّ(الانتقال المكاني، يصدر عن نفس الأصل الذي صْدر عنه التشابه، إذْ إنَّ مردَّ الأمر في كليهما إلى الخطأ ،ونقص الأُلتفات يقتصر على تغيير مكان حركتين، وأخيراً يبدو الانتقال المكاني، كما لو أنَّ جزأين في كلمة واحدة، قد تبادلا أحد العناصر، فبدلاً من فسترا(Festra) يقال في البرتغالية(Fresta) فريستا.(فندريس1970،94)

فالقلب المكاني عبارة عن تقديم أوتخيرأ أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغيّره تغيّراً طفيفاً، وهو قلّ وروداً من الإبدال. ومن أمثلته قولهم بمعنى واحد: لطم ولمط، وذبح وبذح، وبعزق وزعبق، والبهلق والبلهق (للمرأة الحمراء جداً) ، وسكب وبسك (زيدان ب ت ،59–60) والخ ....

والقلب المكاني يكون في الصّوامت كما يكون في المصوّائت ، وقد ذكر السيوطي(السيوطي1986، 476/1) للقلب المكاني في الصّوامت أمثلة كثيرة جدّاً ، أخذها عن ابن فارس ، وابن السّكيت ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وابن دريد وغيرهم.

الدّلالة والقلب المكاني:

يُعدُّ الجانبالدّلالي معياراً أساسيّاً في تحديد كلمات القلب المكاني، فكلمات القلب المكاني تتفق في المعنى ، وهناك كلمات تتفقفي الأصوات ، كما تختلف في المعنى ، فهذه الكلمات لا تُدرج في دائرة القلب المكاني ، ومن أمثلة

هذه الكلمات : الشمع والمشع[1*] العِرس والسِّعر،[2*] و اللعس السلع[3*] وعلم وعمل .أمَّا إذا اتفقت الكلمتان في المعنى فإنّ الكلمتين في هذه الحالة تُدرجان في دائرة القلب المكاني.(علي كمال1999، 119–120)

أمّا القلب عند أبي عبيدة فيعني التحويل فهذا هو المعنى الذي ردّده المعجم، فالقلب هو تحويل الشيء عن وجهه(الفيّومي2001،65)

من كل ما تقدّم نستطيع القول : إنَّ القلب المكاني ظاهرة صوتية حيث إنَّ الفونيمات تتبادل أمكانها في السلسلة الكلامية.

وفيما يلي بعض المواضع التي أشار فيها أبوعبيدة إلى القلب المكاني في كتاب النقائض:

أتى أبَدٌ مِنْ نُونِ حِنْذَانِ عَهْدَنَا *** وحَتْ عَلْهَا كُلُّ نَافِجَةٍ شَمْلِ(أبوعبيدة1905، 133/1)

قال أبو عبيدة:(النافجة الرِّيح الشديدة الهبُوب، والشَمْل الشمال يقال: ريح شمال وشَمْل وشمأل وشامل وشَمَل وشمول ويقال: شيمل)(أبو عبيدة1905، 133/1)

قال ابن منظور:(الشمل :الرِّيح التي تهبّ من ناحية القطب، وفيها خمس لغات : شَمْل ، بالتسكين ، وشَمَل بالتحريك ،وشمال، وشمأل، مهموز ، وشأمل، مقلوب). ف (شأمل) مقلوب (شمأل) (ابن منظور ب ت، 365/11) وهما لغتان في شمال، وبُعدًان من باب القلب المكاني لتوافقهما في المعنى.

وإنَّا لضرَّابُونَ تَعْشَى بِنَا نَا *** سَوابِغُ مِنْ زَعفٍ دلاصٍ ومِنْ جَلْ(أبوعبيدة1905، 143/1)

قال ابو عبيدة :(الدِّلاص: المُلس وكذلك الدُّلاس والدَّمالص، كما قالوا الكريم: صُمَاض وَصَماص)(أبو عبيدة1905،143/1).

ذكر صاحب اللسان أنَّ الدُّلمص والدَلامص: البرَّاق الذي يبرق لونه. وامرأة دُلمِصَة: برَّاقة. دَلْمَصَ الشئ برَّقه.والدُّلامص : البرَّاق، وكذلك الدّمالص والدَّمارص. والدّملص والدّمالص، كالدّلمص والدّلامص الذي يبرق لونه. يقول يعقوب:هو مقلوب من الدّلمص والدّلامص .(ابن منظور ب ت، 7/ 38)

واعْوَرَتِ الُعطُ العِرْضيَّ تَرْكُضُهُ *** أمُّ الفَوارِسِ بالدَّذْفاءِ والرَّبَعَهْ(أبو عبيدة 1905،184/1)

قال أبوعبيدة :(العُطُ الذي لا أداة عليه مثل العطل)(أبوعبيدة1905،184/1)

قال ابن منظور :(وناقة عُطُل بلا سِمَة كعُطُل)(ابن منظور ب ت ،354/7) ف (عُطُل) مقلوب(عُطُل) لاتفاقهما في المعنى.

بِزَوْرَدِ أرْقَصَتِ القعودُ فَواشَهَا *** رَعَتْ عُنْبُلَهَا الغَفْقِ الأرَعِلِ(أبوعبيدة1905، 231،1)

قال أبو عبيدة:(يقول قعدتُ على بظريها وافترشْتُهُ لطوله ... الأرعل المسترخي ويُروى الأرغل والأغرل ، وهو الأقلف شبّهه تدلّى بظرها بالأقلف)(أبوعبيدة1905 ، 231/1) .

جاء في اللسان :الرَّغلة :الغلفة كالغرلة. والأرغل الأغلف ،وكذلك الأغرل. وغلام أرغل بيّن الرَّغل أي أغرل ،وهو الأقلف. والأرغل مقلوب الأغرل كجَبِذ وجَبَذ. وعيش أرغل وأغرل أي واسع ناعم. (ابن منظور ب ت ، 290/11)

وَهْيَ كَأَنَ الفَرَزْنَقَ غَرْقَدٍ *** أصابته الصَّوَاعِقُ فاستَدَارَا(جرير 2011، 2116)

[1*] الشمع: موم العسل. والمشع ضرب من الأكل كأكل القثاء

[2*] العِرس: امرأة الرّجل . والسعر سعر السوق الذي تقوم عليه الثمن

[3*] اللعس: سواد يعلو الشفة للمرأة البيضاء. السلع : نبات

قال أبوعبيدة ولغته الصواقع . (أبوعبيدة 1905، 251/1)

جاء في معجم اللهجات العربية : الصَّاعقة: الموت . وقيل كلّ عذاب مُهْلك، وفيها ثلاث لغات : وصاعِقة وصَاقعة وصَعْقَة. قال أبو النَّقَّاش: يُقال: صَعقة وصَعْقَة وصَاقعة بمعنى واحد)(أديب2000، 326) فالقلب في(صواعق) و(صواقع) إنّما نتج عن اختلاف الاستعمال اللهجي.

أبَيْنَا أَنْ تَضِبَّ لِمِئَاتُكُم ***على مُشِقات كالظباء عَواطِيَا(أبو عبيدة 1905، 423/1)

قال أبو عبيدة :(جاء تَضِبُّ وتَبِضُّ لثته، جميعاً يقالان... والبضُّ والضبُّ السيلان ، فكل هذا أعرابي)(أبوعبيدة1905، 423/1).

قال ابن منظور : ضَبَّتْ لثته تَضِبُّ ضَبّاً :انحلب ريقها. تضبُّ لِثته بالكسر ، يُضرب ذلك مثلاً للحريص على الأمر، وهو أي تَضِبُّ –قلب تَبِضُ أي تسيل وتقطر)(ابن منظور ب ت، 542/1).

رَكُودٌ تسامى بالمَجَالِ كَأَنَّهَا *** شموسٌ تَضِبُّ القَائِنَيْنِ وتَضْرُو(أبوعبيدة1905، 505/1).

قال أبو عبيدة :(ويروى تَبِضُّ) (أبوعبيدة1905، 505/1).

جاء في اللسان النَّبُّ: الدَّفع والمنع . والنَّبُّ " الطَّرد. ونَبَّ عنه يَنُبُّ نَبّاً : دَفَع ومَنَع وذَبْتُ عنه. وفلان يذبّ عن حريمه ذبّاً أي يدفعهم ويَذُبُّ ذَبُّ بذاذة ويُذوذة : رَثَّتْ هَيْئتك وساءت حالتك. البذاذة رثاثة الهيئة ؛ قال الكسائي: (هو أنْ يكون الرّجل متقهلاً رث الهيئة ، يقال منه رجل باذّ الهيئة وفي هيئته بذاذة . وقال ابن الأعرابي: " البُذّ الرَّجل المتقهّل الفقير، والبذاذة أن يكون متزيناً ويوماً شعثاً" .ويقال: هو ترك مداومة الزّينة. (ابن منظور ب ت 5 / 80)

وبعد استعراض هذين اللفظين (ذبَّ ،وبذّ) نجدهما مختلفين في المعنى ، وبالتالي لا يُعدّان من باب القلب المكاني.

وَجْلَى بِحِلْمٍ قَدْ نَفَخْنَا جُزُونَه *** وما كَانَ لولا حِلْمُنَا يتزحْلَقُ (الفرزدق ب ت)

قال أبو عبيدة:(يعنى يتنحّى ويباعد ... يقال تَزَحْلَقَ وتَزَلْحَفَ)((أبوعبيدة1905 ، 9).)

قال ابن منظور:(الزُحلوقة كالزحلوفة، وقد تَزَحْلَقَ. الجوهري: الزُّحلوقة آثار تزلّج الصبيان من فوق التّل إلى أسفله ، وهي لغة أهل ا لعالية ، وتميم تقول بالقاف، والجمع زحالف وزحاليف. ويقال أَزْلَحَفَّ وازْطَفَّ وتزحْلَفَ وتزلْحَفَ إذا تنحّى...)(ابن منظور ب ت)

مما تقدَّم نجد أنَّ (تَزَحْلَفَ وتَزَلْحَفَ) بمعنى واحد فهما إذاً يدخلان في باب القلب المكاني.

ثالثاً: إبدال الهمزة:

الإبدال اللغوي:

فيالعربية نوعان من الإبدال :أحدهما لغوي أو لهجي ، ويُعرف لدى النَّحويين بتعاقب الأصوات ، كأن تقول العرب عن الأعرابي : (قح وأح)– أي محض– أو تقول:(أكد و وكد) ،(وفرق وفلق) ،(وخضم وقضم) والآخر هو الصّرفي الخاضع للقوانين الصَّرفية . ويُراد بالإبدال عند اللغويين مطلق جعل حرف مكان حرف آخر ،حيث يقول عبد الواحد اللغوي :(هو إقامة حرف مكان حرف)(أبو الطيب اللغوي 1960) فعبد الواحد اللغوى تصوَّر أنَّ عملية الإبدال يقوم بها صاحب اللغة متى شاء لذلك عبّر بقوله:(إقامة حرف مكان حرف) ولو أنَّه قال: قيام حرف مكان حرف، لكان أقرب إلى التعبير عن طبيعة التطور الصوتي الذي يطرأ على اللغة ، فالواقع أنَّ حدوث هذه الظاهرة غير متوقف عن إرادة تقصد إليه ، وليس من حق أي إنسان أنْ يقوم هو بإحلال صوت مكان صوت آخر من أجل توليد مفردة أو صيغة جديدة تضاف إلى التراث اللغوي، بل المفروض أنّنا نلتزم بما ورثناه من تقاليد هذه اللغة العربية الفصحى.

وعلماء العربية القدماء تجاه الإبدال فريقان : فريق اعتمد كل لفظتين اختلفتا في صوت، واتفقتا في بقية الأصوات من باب الإبدال، ومن هؤلاء أبو الطيب اللغوى، وفريق اشترط وجود علاقة بين الصّوتين تدعو إلى إحلال إحداهما محل الآخر، كي تُعدُّ الكلمة من باب الإبدال، ومن أبرز هؤلاء أبو زكريّا الفرّاء(شاهين1986، 265) وهذا الرأي الثاني هو الأقرب إلى الصّواب، وذلك أنَّ في الإبدال إمَّا أنْ نراعي العلاقة الصوتية بين الحرف المبدل والمبدل منه، وإمّا أن نراعي هذه العلاقة بين المبدل والحرف المجاور للمبدل منه.

ولا خلاف بين النحويين في كون الإبدال اللغوي ضرباً من ضروب المعاقبة، ومن كتب التراث ما نصَّ صراحةً على أنَّ إبدال صوت بصوت آخر داخل بنية الكلمة معاقبة ، قال السيوطي:(اللام والرّاء متعاقبان، تقول العرب: فلق الصُّبْحَ وفرقه)(السيوطي1986، 460/1) .

مخرج الهمزة وصفتها:

الهمزة عند القدماء حرف مجهور من أقصى الحلق(سيبويه2006 ، 548/3) أو هي حرف مجهور سفل في الحلق، وبُعد عن الحروف وحصل طرفاً. قال ابن جنّي: (أُعلم أنَّ الهمزة حرف مجهور ، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب:أصل وبدل زائد . ومعنى قولنا أصل: أنْ يكون الحرف فاء الفعل، أوعينه ، أو لام . والبدل: أنْ يقام حرف مقام حرف إمَّا ضرورة وإمَّا استحساناً وصنعة...)(ابن جنّي2003، 83/1)

والهمزة بعد البحث التجريبي ،صوت صامت حنجري انفجاري ، وهو يحدث بأنْ تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتين وذلك بإطباق الوترين انطباقاً تاّماً فلا يسمح للهواء بالنّفاذ من الحنجرة، يغط الهواء فيماد في الحنجرة ثم يفرج الوتران الصّوتيان فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً. فالهمزة صوت شديد لا بالمجهور ولا بالمهموس (أنيس ب ت ،78).

مصطلح أبي عبيدة في هذه القضية:

1/ مصطلح الهمز: ويُقصد بهتحقيق الهمزة أو الوقفة الحنجرية المعروفة عن الهمزة وقد عبّر بالهمزة في كتاب النقائض بقوله:(من همز أو قوم يهمزون)

2/ ترك الهمز :وعبَّر به في النقائض بقول :(عدم الهمز أو بغير همز) . أما القضايا المتعلقة بإبدال الهمزة في كتاب النقائض فيمكن تناولها من خلال النقاط التالية:

أ/ إبدال الهمزة من الياء:

قال ابن يعيش :(قد أبدلت الهمزة من خمسة أحرف، وهي :الألف والواو والياء والهاء والعين، وذلك على ضربين : مطّرد ،وغير مطّرد. والمطّرد واجب وجائز أمَّا عن إبدال الهمزة من الياء فقد قال:(وقد أبدلوا الهمزة من الياء المفتوحة كما أبدلوها من الواو، وهي أقلّ من الواو ، قالوا قطع الله أَليه، يريدون: يَليه ، رَثُوا اللام ، وأبدلوا من الفاء همزة ، وقالوا : في أسنانه ألَلٌ ، يريدون:يَلَل ، فأبدلوا الياء همزة ، والليل قَصَر الأسنان، ويقال: انعطافها إلى داخل الفم ، يقال :رجل أيلٌ وامرأة يلّاء . وقالوا: (الشئمة) وهي الخليقة وأصلها الياء، فالهمزة بدل من الياء....(ابن يعيش2001 ، 351/5).

ومن مواضع إبدال الهمزة من الياء في كتاب النقائض كما أشار إليها أبو عبيدة ما يلي:

إذَا فَزِعُوا لَم تَطْفَ القَتَّ خَيلهُمْ *** ولكنَّ صُدُورَ الأزانيِ ذَسَّهُمَا (جرير2011، 450)

قال أبو عبيدة : (ويقال الأزانيّ واليزانيّ أيضاً) (أبوعبيدة1905، 118/1).

قال ابن السكيت (رِمْحٌ يزنِي وأزأنِي ، ويزأنِي وأزأنِي منسوب إلى يزن)(ابن السكيت1978 ، 137)

وقال ابن منظور:الزُّؤان حَبٌّ يكون في الطعام واحدته زؤانة، وقد زُئِن.والزُّؤان أيضاً ردئ الطعام وغيره ،والزؤان الذي يخالط البُرّ ، وهي حبّة تُسْكِر) وهي النَّدَقَة أيضاً، وفيه أربع لغات : زؤان ، وزوان – بغير همز– وذئان ، وزوان ، بالكسر فيهما. وذو يزن: ملك من ملوك حِمْيَر ، أصله يزأن من لفظ الزؤان ، ولا يجب صرفه للزيادة في أوّله للتعريف ، ورمح يَزَنيٌّ وأزأنّي ويزأنّي وأيزنّي على القلب ، وآزنّي على القلب أيضاً) .(ابن منظور ب ت ، 193/13)

فمن خلال من أورده ا بن السكيت ، وابن منظور يتضح أنَّ الهمزة في (أزأنّي) مبدلة عن الياء في (يزأنّي) وهو إبدال سماعي.

وَلَجَّ بك الهِجْران حتَّى كأنَّما *** ترى الَموْتَ في البَيْتِ الَّذي كُفْتَ تَيْلَفُ(الفرزدق ب ت ، 32/2)

قال أبو عبيدة :(و تيلف وهي لغة تميم) (أبوعبيدة1905 ، 548/2).

جاء في اللسان(ألّفت الشئ وألّفت فلاناً إذا أنسبت به، وألّفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرّق، وألّفت الشئ تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب)(ابن منظور ب ت ، 10/9) والإلف والإلاف والإيلاف ثلاث لغات بمعنى لزوم الشئ. وقد قُرئ قوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{1} إِيلَافِهِمْ﴾ (الإيلاف:1: 2) بالثلاث لغات. (أديب2000 ، 65)..إذن الياء في(تيلف) أصلها الألف(تألف)،الإبدال الذي وقع في الكلمة هو اختلاف لهجي.

3 / غَاة لَقِيْنَا مِنْ لؤيّ بن غَالبٍ *** هَجَانِ الغَوانِي واللِّقَاءُ على شُغْل (أبوعبيدة1905 ، 548/2).

قال أبو عبيدة :(من همز لؤي أخذه من تصغير اللأي وهو الثور من الوحش ، ومن ترك الهمزة أخذه من لويت الشئ) (أبوعبيدة1905، 548/2).

جاء في اللسان:(اللأي، بوزن اللعَيّا: الثور الوحشي ، قال اللحياني :وتثنيته لأيان ، والجمع ألاء مثل ألعاع، مثل جبل وأجبال ، والأنثى لأَة مثل لعاة ، ولأيّ بغير هاء، وقال إنَّها البقرة من الوحش خاصة .وقال أبوعمرو: اللأي البقرة، وحكى : بكم لاَك هذه؟ أي بكم بقرتك هذه؟ ولأي ولؤي: اسمان ، وتصغير لأي (لؤي) ، ومنه لؤي بن غالب أبو قريش . قال أبو منصور:وأهل العربية يقولون: هو عامر بن لؤي، بالهمز ، والعامّة تقول: لوي،قال علي بن حمزة :العرب في ذلك مختلفون، من جعله من اللأي همزه ، ومَنْ جعله من لوي الرَّمل لم يهمزه.ولأيّ نهر من بلاد مُزَينة يدفع في العقيق)(ابن منظور ب ت، 238/15) .

ونطق (لُوي) من(لؤي) يتوافق مع ما نجده اليوم أنَّ معظم البيئات المتحضّرة تعمل على التخلّص من الهمزة، فقد حُوِّلت الهمزة إلى صوت لين –خاصةً لدى العَلّمة–كما أنّه تُبْدَل الواو من الهمزة بإطراد ، إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مضموم(محمود2011 ، 45)

وُجِد الكَتِيفُ نَخِرةً في قَبْرِهِ ***والكَلْبَتَانِ جُمِعَ والمِيْشَارُ(جرير2011 ، 156)

قال : أبوعبيدة :(وقوله والميشار يقال من ذلك مِئْشَار مهموز وميشار بلا هَمْز) (أبوعبيدة 1905، 852/2) جاء في معجم اللهجات العربية نَشَرَ الخشبة بالمئشار ، مهموز ، لغة في نشرها بالمِنْشار. وميشار لغة في مِنْشار)(أديب2000 ، 547) فالاستعمال اللهجي هو الذي أدّى إلى قلب الهمزة (ياء) في المثال السابق.

ب/ إبدال الهاء همزة:

قال ابن يعيش :(قد أُبدلت الهمزة من الهاء ، وهو قليل غير مطّرد ، قالوا : (ماء) وأصله(مَوَهٌ)، فقلبوا الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها ،فصار في التقدير (ماها) ،ثم أبدلوا من الهاء همزة؛ لأنَّ الهاء مشبّهة بحروف العلّة ، فقُلبت كقلبها، فصار (ماء) .وقولهم في التكسير :(أمواه) ، وفي التصغير(مُوَيهة) دليل على ما قلناه مِنْ أنَّ العين واو، واللام

هاء، وقد قالوا في الجمع أيضاً : (أمواء) فهذه الهمزة أيضاً بدل من الهاء في (أمواه)(ابن يعيش2001 ، 360/5 – 361) وقد علّق أبوعبيدة– في كتاب النقائض– على موضع واحد أُبدلت فيه الهاء همزة:

تعالوا نُحَاكِمْكُم وفي الحقّ مَقْنَعٌ ** إلى الغُرِّ مِنْ آل البِطَاحِ الأكَارِمِ(جرير2011 ، 456)

قال أبو عبيدة:(تقول: هم آل فلان ،وأهل بلد كذا وكذا ،ويُدخل أهل على آل ولا يُدخل آل في موضع أهل(أبوعبيدة1905 ، 764/2).

قال ابن منظور:(وآل الرَّجل أهله. وآل الله وآل رسوله: أولياؤه. أصلها أهل ثم أُبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلمَّا توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمَنَ وآزَرَ ، فإنْ قيل: ولِمَ زَعَمْتَ أنَّهم قلبوا الهاء همزة ثم قلبوها فيما بعد، وما أنكرت من أن يكون قلبوا الهاء ألفاً في أوّل الحال؟ فالجواب أنَّ الهاء لم تقلب ألفاً في غير هذا الموضع فيُقاس هذا عليه، فعلى هذا أبدلت الهاء همزة ثم أبدلت الهمزة ألفاً . وأيضاً فإنَّ الألف لو كانت منقلبة عن غير الهمزة المنقلبة عن الهاء لجاز أنْ يُستعمل آل في كل موضع يستعمل فيه أهل، ولو كانت ألف كل بدلاً مِنْ أهل لقيل : أهلك والليل، فلمَّا كانوا يخصّون بالآل الأشراف والأخص دون الشائع الأعم حتَّى لا يقال إلا في نحو قولهم: القُرَّاء آل الله، واللهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد)(ابن منظور ب ت ، 30/11).

فالحروف إذا تقاربت في المخرج كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ؛ ولذلك أُبدلت الهمزة من الهاء– في المثال السابق– طلباً للتخفيف وسهولة النطق وتيسيره.

ج/ إبدال الهمزة عيناً :

يقول جورجي زيدان عن علاقة الهمزة بالعين لفظاً وكتابةً :(أمَّا همزة القطع فإنَّها بصورة العين مصغَّرة)(محمود 2011 ، 98). ولعلّهم يرمزون عنها لتقارب لفظيهما ، وكثيراً يتبادلان.

لمَّا رَأَيْنَ صَلاَبَةً في رَأْسِه *** أَقْعَيْنَ ثُمَّ صأَيْنَ بَعْدَ هَوِيِّهِ(أبوعبيدة1905، 914/2).

قال ابو عبيدة :(صَأَيْنَ مثل صَعْيْنَ) (أبوعبيدة1905، 2914).

لقد استحوذت ظاهرة إبدال العين من الهمزة على اهتمام اللغويين ، قديماً وحديثاً ، ويكاد لا يخلو كتاب حديث يتحدّث عن لغات العرب وتطورها من تختص بهذه الظاهرة اللغوية ، وقد اصطلح على تسميتها بالعَنْعَنَة. ويقول ابن منظور:(وعنعنة تميم:إبدال العين من الهمزة ، كقولهم:(عَنْ) يريدون(أنْ) وقد أُبدلت العين من الهمزة كثيراً ،ولم يحدث العكس في العربية مطلقاً)(ابن منظور ب ت ، 295/13) قال الأصمعي : سَمِعْتُ ذا الرُّمة يُنشد عبد الملك:

أَعَنْ ترسمت مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً *** مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عينيك مَسْجُومُ(السيوطي1954، 83/1)

همز مالا يهمز: وضَّح أبو عبيدة في الأمثلة التالية ملاحظة منهجية تخص الانتماء اللهجي فأشار أنَّ قريشاً كانت تحقّق الهمزة في بعض الكلمات مُخَالَفَةً للعرب .

بأولاك تمنع أن تنفق بعدما *** قصعت بين جزونة ورمال (الفرزدق ب ت ، 166/2)

قال أبوعبيدة :(يقال :أولئك ، وهي لغة قريش ، وبها نزّل القرآن.وأولاك، ألاك، وأولالك ،وألّائك بمعنى واحد) (أبوعبيدة1905، 288/1).

قال السيوطي: (ولجمع المذكر والمؤنث معاً :(أولاء) و(ألّاك) بالتشديد، و(ألئك) و(أالالك) بالقصر ،و(أولاء) بالمد في لغة الحجاز، والقصر في لغة تميم)(السيوطي2001 ، 260/1)

رآبيل البِلَادِ يَخْفِنَ زَأْرِي *** وحيّة أريُحَاء لي استجابا(جرير2011 ، 65)

قال أبو عبيدة: (هي– أي رآبيل– جمع رِئبال بالهمز). (أبوعبيدة1905 ،451/1).

جاء في اللسان:(الرِّئبال من أسماء للأسد والذئب ،يُهمز ولا يهمز، مثل : حَلأت السويق وحلّيت، والجمع الرَّآبيل ، قال ابن بري: وليس حرف اللين فيه بدلاً من الهمزة؛ قال ابن سيده: وإنَّما قضيت على رئبال المهموز أنَّه رُباعي على كثرة زيادة الهمزة من جهة قولهم في هذا المعنى ريبال بغير همز ، وذلك أنّ ريبالاً بغير همز لا يخلو من أن يكون فيعالاً أو فِعْلالاً، فلا يكون فيعالاً لأنَّه من أبنية المصادر ، ولا فِعْلالاً لأنَّه من أبنية المصادر ،ولا فُعْلالاً وياؤه أصل لأنَّ الياء لا تكون أصلاً في بنات الأربعة ، فثبت من ذلك أنّ رئبالاً فعلالاً همزته أصل بدليل قولهم : خرجوا يترأبلون ، وأنّ رئبالاً قد خفف عنه تخفيفاً بدليّاً ، وإنَّما قضينا على تخفيف همزة ريبال أنَّه بَدلي لقول بعض العرب يصف رجلاً: هو ليث أبو ريابل(ابن منظور ب ت ، 263/11).

ويعضد رأي ابن سيده أنّ ثمّة فريق من القرَّاء الحجازيين مَنْ كان يَعْمد إلى تسهيل الهمزة طلباً للتخفيف. أما اليوم فإنَّنا نجد معظم البيئات المتحضَّرة تعمل على التخلص من الهمزة، فقد حَوَّلت الهمزة إلى صوت اللين، شأن العلميّة العربية في ذلك شأن، سائر اللغات اللاتينية ، فمعظم أصوات اللين المتطرفة في اللغة اللاتينية فقد انقرض في اللغات المتشعبة عنها (عبد الواحد 1968، 138)

فَأَلْقَتْ بِكَفَّيْهِ المذِيّةُ إِذَا نَدَا *** بِعَضْبٍ أَنِيَابٍ سَرِيعٍ سُؤُرُها(الفرزدق ب ت ،364/2)

قال أبو عبيدة :(وَمَنْ هَمز فقال: سؤورها هَمَزَ لتحرُّك الضَّمّة والواو وشبّهها بواوين مثل أُقّتَتْ) (أبوعبيدة1905 ، 518/1).

قال ابن منظور :(السائر، مهموز: الباقي . ومن هَمَزَ السؤرة من القرآن جعلها بمعنى بقيّة من القرآن وقطعة. والسؤرة من المال: جيِّدهجمعه سؤر والسورة من القرآن يجوز أن تكون من سؤرة المال، تُرِكَ همزه لأنّه كثر في الكلام)(ابن منظور ب ت ، 40/4)

نَحْوِنِي فأَشْرفْتُ العَلاية فَوْقَكُم *** بِحُورٍ ومِنّا حَامِلُونَ وَدَافِعُ (الفرزدق ب ت ، 418/1)

قال أبو عبيدة: (العلاية يقال أعلو وأقهر الناسويُروى العلاءة) (أبوعبيدة1905 ، 699/2). قال ابن جنّي : (الياء في العلاية بدلاًمن واو، وذلك أنّا لا نعرف في الكلام أمَّا اليوم فتصريف (ع ل ي) إنّما هو (ع ل و) فكأنّه في الأصل علاوة، إلا أنَّه غُيِّر إلى الياء من حيث كان علماً، والأعلام ممّا يكثر فيها التغيير . وقال ابن منظور: (... العُلا بالضم والقصر موضع من ناحية وادي القُرى نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم، في طريقه إلى تبوك وبه مسجد)(ابن منظور ب ت ، 244/5)

عليه فإنَّ الهمزة في (العلاءة) منقلبة عن الواو وليس عن الياء ، حيث وقعت الواو طرفً بعد ألف زائدة ،وكان حقّها أن تصح لأنَّ ماقبلها ساكناً ، إلا أنَّها أُعِلّتْ لضعفها بالتطرُّف ،ولوقوعها بعد ألف زائدة، ممَّا أدَّى إلى قلبها،(إمَّا لعدم الإعداد بالألف حاجزاً حتَّى صار حرف العِلّة كأنّه ولِيَ الفتحة التي قبل الألف ، ولمَّا لكون الألف بمنزلة الفتحة لأنَّها مِنْ جوهرها فقلوا حرف العِلّة بعدها ألفاً فالتقى ساكنان الألف الأولى والألف الثانية المنقلبة عن حرف العِلّة ،ولم يمكن حذف إحداهما لئلا ينقلب الممدود مقصوراً ، فحُرِّكت الأخيرة ،فأُنقلبت همزة)(محمود2000 ، 75)

المعاقبة في الصَّوائت:

جاء في لسان العرب :(هما يتعاقبان، ويعتقبان إذا جاء هذا ،و ذهب هذا ، كالليل والنهار عقيبان، فكلُّ واحدٍ منهما حق صاحبه، وعقيبك الذي يعاقبك في العمل ، ويعمل مَرَّةً وتعمل أنت مَرَّة، وعاقبة أي جاء يعقبه فهو معاقب وعقيب ، والتعقيب مثله، والتعاقب والاعتقاب : التداول(ابن منظور ب ت 540/1) فالمعاقبة في اللغة لها معانٍ كثيرة ، منها:

التداول، والإنابة ،والتتابع، والتبادل فليس له معنًى جامع في المعاجم العربية. أما في الاصطلاح فهي: (التداول والتبادل بين عنصرين لغويين على معنًى واحد ، لقرب الدلالة بينهما)(عبدالتواب 1995 ب ت ، 91)

وأصوات العِلّة أو الحركات الطويلة هي: الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم، وخلال الأنف، معهما أحياناً دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً ، أو تضييق لمجرى الهواء، مِنْ شأنه أنْ يحدث احتكاكاً مسموعاً)(عبد التواب1995،91) .

وقد عَدَّ القدماء (الأصوات الصائتة) أبعاض حروف المد ، يقول ابن جنيَّ : (أُعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المد واللين)(السيوطي2001 ، 19/1). فالفتحة بعض الألف ، أي نصفه ،والكسرة بعض الياء، أي نصفها، والضّمة بعض الواو، أي نصفها فالحركا ت تتفق مع حروف المد في كلِّ شيء مع فارق واحد ألا وهو القِصَر والطول.

ويطلق علماء الأصوات على صوت الفتحة اسم (صوت العِلّة المتسع) ،كما يطلقون على صوتي الضّمة والكسرة اسم (أصوات العِلّة الضيّقة .وهذا التقسيم له أهميته فيما يصيب هذه الأصوات كلها من تطور أو تغيير إذْ أنّه من الملاحظ أنَّما يصيب الضّمة يجري مثله في الغالب على صوت الكسرة لأنّ كلّاً منهما من أصوات العِلّة الضيّقة)(عبد التواب1905، 92-93)

وفيما يلي بعض أمثلة المعاقبة في الصَّوائت كما أشار إليها أبو عبيدة في كتاب النقائض:

مَنَحْنَا لَهَا رَوْقَ الشَّبَابِ فَعَارَضَتْ***جِنَابَ الصَّبِيِّ فِي كَائِمِ السِّرِّ أَعْجَما(أبوعبيدة1905 ، 43/1)

قال أبو عبيدة: (روق الشباب وريّقه أوّله) (أبوعبيدة1905، 43/1)

وقال ابن سيده:(روق الشباب وغيره وريقه وريّقه كل ذلك أوّله). ويقال هذا في روق شبابه وريّق شبابه أي في أوّله.(ابن منظور ب ت ، 232/10)

ولمَّا اتّقى العرافِيّ باسْته***فَرِغْتُ إلى القَيْنِ المُقيّد في الحِجْلِ(أبوعبيدة1905، 165/1)

قال أبو عبيدة :(تميم يقولون : فَرِغْت أَفْرَغُ فَرْغاً، وقريش وأهل العالية يقولون : فَرَغْتُ أَفْرَغُ فُرُوغاً) (أبوعبيدة1905 ، 165/1)

فالمعاقبة في هذا المثال– بين الفتحة والكسرة– نتجتْ لاختلاف الاستعمال اللهجي.

بِنَا لِي بِهِ الشَّيْخَانِ مِنْ آلِ دَارِمٍ *** بِنَاءً عَلَى المَجَّةِ عَالِيَا(الفرزدق ب ت ، 361/2)

قال أبو عبيدة:(الشيخان جماعة شَيخ وأشياخ إلى العشرة ،وشيوخ وشُيُوخ،وشيخان ومشيخة سواء...) (أبوعبيدة1905 ، 72/1)

فالشيخ هو :(الذي استبانت فيه السِّنُّ وظهر عليه الشيب، وقيل: هو شيخ في خمسين إلى آخره ، وقيل: هو من الخمسين إلى الثمانين، والجمع : أشياخ وشيخان وشيوخ وشِيُوخ وشِيَخة ومِشْيَخَة وَشِيَخة ومشيوخاء ومشايخ...(ابن منظور ب ت، 31/3)قد تعاقبت الضمة والكسرة في (شُيُوخ، وشِيُوخ)، حيث هناك علاقة وثيقة بين كلٍّ من البيئات المتحضِّرة والبيئات البدوية ،وبين ظاهرة المعاقبة حيث نستطيع أن نعزو الكسر إلى تميم وأسد وأهل نجد، وهي قبائل بادية يميلون إلى الخشونة والذين يقولون (شُيُوخ) إنَّما تجنَّبوا توالي حركتين مكروهتين وهما: الكسرة والضّمة.

والعِيْسُ جَافِلَةُ الغُوضِ كأنَّها *** بَقَرٌ جَوافِلُ أو رَعِيلُ نَعَامِ(أبوعبيدة1905 ، 272/1)

قال أبو عبيدة :(جَوافل أي الموضي السِّراع تَجْفِل وتَجْفُلَ في سيرها) (أبوعبيدة1905 ، 272/1)

ل قلبن منظور:(وجَفَلَ الظَّلِيمِ يَجْفُل ويَجْفِل جفولاً ،وأجْفَلَ ذهب في الأرض وأسرع)(ابن منظور ب ت ، 113/11)

لم يُشْر ابن منظور في هذا الفعل إلى الناحية اللهجية ، وإنَّما تعرَّض إلى الناحية التصريفية .فالذي ذكره يتفق مع ما ذهب إليه الصرفيون ، حيث إنَّ الفعل اللازم الذي على وزن (فَعَلى) يأتي مصدره على (فُعُول) مع توفّر الشرطين الذين وضعوهما :(إذْ يشترط في الفعل ألا يكون دالاً على واحدٍ مِنْ ستة معانٍ ، وهي : المرض ،والصوت ، والامتناع ، والسير ، والاضطراب أو التنقُّل وللحِرفة، أو الولاية ، لأنَّ ما دَلَّ على أحدٍ من هذه المعاني كان لمصدره قياس آخر .وأمَّا معيار اللفظ فيشترط أن يكون الفعل صحيح العين غير معتلها ، لأنَّ قياس المعتل هو (فَعْل) فإذا استوفى الفعل هذين المعيارين جاء مصدره على المعتل هو (فُعُول) ، مثل شُرُود، وقُعُود ، وطُلُوع ، وشُمُوخ، وسُكُوت ، ورُكُوع ، وسُجُود)(حلواني1999 ، 217–218)

وتَرَى عَطِيَّة والأَتَانُ أَمَامَهُ *** عَجَلاً يُؤُمُّ بِهَا عَلَى الأَمْيَالِ(أبوعبيدة1905 ،293/1)

قال أبو عبيدة: ((وعَجِلاً وعُجُلاً لغتان معروفتان) (أبوعبيدة1905 ، 293/1) جاء في لسان العرب :(ورجل عَجِلٌ وعُجُلٌ وعجلان وعاجل وعجِيل من قوم عَجَالى وعُجَالة، وهذا كله جمع عجلان، وأمَّا عَجِل وعُجُل فلا يُكسر عند سيبويه، وعَجِل أقرب إلى حدِّ التكسير منه، لأنَّ فَعِلاً في الصفة أكثر من فُعِل،على أنَّ السلامة في فَعِل أكثر أيضاً لقلته وإنْ زاد على فُعْلى)(ابن منظور ب ت ، 425/11)

أرعى النُّجُومَ وقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةً *** عُصَبُ النُّجومِ كأنَّهُنَّ صِوَارُ(جرير2011 ، 154)

قال أبو عبيدة: وصِوَار وصُوَار بكسر الصَّاد وضَمِّها هو القطيع من بقر الوحش هاهنا وهو القطيع من كل شئ) (أبوعبيدة1905 ، 2 / 848).

قال ابن منظور:(الصِّوَار والصُّوَار القطيع من البقرة، والعدد أصور والجمع صيران).(ابن منظور ب ت، 475/4)

وكَأَنَّ حَيْثُ أَصَابَ مِنْهُنَّ الصَّلَى**كَلَفٌ بِهِنَّ وَرَاشِحٌ مِنْ قِيرِ(أبوعبيدة1905 ، 909/2)

قال أبو عبيدة :(يقال : قِيْر وقَار لغتان والقار أفصح اللغتين وهما جائزتان(أبوعبيدة1905 ، 910/2)

جاء في لسان العرب: القير والقار لغتان، وهو صِبْغٌ يُذاب فيستخرج منه القار، وهو شئ أسود تُطْلى به الإبل والسفن يمنع الماء مِنْ أنْ يدخل ، ومنه ضرب تُحْشَى به الخلاخيل و الأسورة)(ابن منظور ب ت ، 124/5)

المعاقبة في الصوامت(*) :

بين القاف والكاف:

قال الأصمعي:(يقال : دقمه ودكمه: أي دفع في صدره ، ويقال قاتعه الله ، وكاتعه الله، في معنى : قاتله الله. وقال أبو عمر الشيباني : يقال :عربيٌّ كُحٌّ، وعربيّةٌ كُحّة . كما يقال :أعرابي قِح ،وأعراب أقحاح أي محض خالص. وقال الفرَّاء : يقال الذي يتبخّر به قُسْط و كُسْط. وقد قُشِطتْ عنه جلده وكُشِطتْ. وقريش تقول:كُشِطتْ. وقيس وتميم وأسد تقول : قُشِطَتْ.(ابن السكيت1978 ، 113–114) وفي مصحف عبدالله بن مسعود: (قُشِطَتْ) بالقاف .

باتَتْ تُرَقِّصُهَا الغَبِيطُ وعُسُّهَا **قَرِيَانُ مِمَّا يَجْلُبُونَ وتَجْلَى(أبوعبيدة1905 ، 209/1)

قال أبو عبيدة :(ويُروى كُرْبان) (أبوعبيدة1905 ، 209/1)

جاء في لسان العرب:(وإذا قَرُبَ قُرْبانا: قارب الامْتلاء، وحُمَّةٌ قُرْبى كذلك . وقد أقربه ، وفيه قَرَبه وقِرابه.فكرب الأمر يَكْرُبُ كُرُوباً دنا. يقال كربت النَّار أي قرب انطفاؤها ، وكَرِبَت الشمس للمغيب: دَنَتْ(ابن منظور ب ت ، 664/1)

قالَتْ فَتَتْكَ مُجَاشِعٌ فَاسْتَشْقَتْ **مِنْ مِنْخَرَيهِ عُصَارَةَ القَفُّورِ(أبوعبيدة1905 ، 937/2)

(*) المقصود بالصَّوامت هنا كل الصَّوامت عدا الهمزة

قال أبو عبيدة: (قوله القفّور يريد الكافور) (أبوعبيدة1905 ، 37/2)والقفّور، مثال التنّور: كافور النَّخْل، وفي موضع آخر، وعاء طلع النَّخْل ، ويقال له أيضاً قفّور. قال الأزهري: وكذلك الكافور الطيب يقال له قفّور. والقفّور : نبت ترعاه القطا، قال أبو حنيفة : لم يَحُل لنا. قال ابن دريد : لا أحسب الكافور عَرَبيّاً ربَّما قالوا : القفّور والقافور .وقوله عز وجل:﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [الإنسان : الآية :5] قيل: هي عين في الجنّة(ابن منظور ب ت ، 112/5)

بين اللام والرَّاء :

عَواطفُ يَسْتَدْبِرْنَ فيءَ الضُّحى**إلى الهَجْرِ أفياءً بَطِيئاً ضُهُولُهَا (ذو الرُّمة1998 ، 384)

قال أبو عبيدة(ضهولها اجتماعها وظهورها أيضاً يقال: هل ضَهَلَ إليك من خبرهم شئ أي ظهر وهذا يصفه من طول النَّهار) (أبوعبيدة1905 ، 8/1)

الضَّهْل ، وقيل: كل ما اجتمع منه شئ كان ضَهْلاً لبأو غيره، فقد ضَهَلَ يَضْهَلُ ضَهْلاً وضهولاً، حكاها ابن الإعر ابي.وظاهر بين نعلين وثوبين :ليس أحدهما على الآخر وذلك طارق بينهما وطابق ، وكذلك ظاهر بين دِرْعَيْن .

فمن خلال ما وَرَدَ في لسان العَرَب نجد أنَّ معنى ضهل: اجتمع، ومعنى ظاهر: طابق والفرق واضح بين المعنيين ، وبالتالي ليس هناك إبدال(اللام والرَّاء) في المثال السابق، وذلك لاختلاف دلالة اللفظين.

لَذَا ما تَمَنَّيْنَا من العَيْشِ مَلَمَحاً**هَدِيلاً حَمَامَاتٌ بذِي سَلَمَانَ هُتَّفُ(الفرزدق ب ت ، 26/2)

قال أبو عبيدة: (وقوله هديلاً يعنى صوتاً وهديراً) (أبوعبيدة1905 ، 2/ 556) قال الأزهري: هَدَرَ الغلاُم ، وهَدَلَ إذا صَوَّتَ، قال ذو الرُّمَّة: طوى الظنَّ زيّاً مكأنَّ سجيله *** عَلَيْهِنَّ إذْ ولّى هَدِيلُ غُلام(ابن منظور ب ت ، 691/11)

وقال ابن سيده : الهديل صوت الحمام، وخَصَّ بعضهم به وحشيها كالقَبَاسي والقماري ونحوها ،هدل القمري ،وفي المحكم: هَدَلَ يَهْدِل هديلاً، ويقال :هَدَرَ البعير يَهْدِر هَدْراً وهديراً وهدوراً : صوت في غير شقشقه ،وكذلك الحمام يهدر).(ابن منظور ب ت ، 257/5 – 258)

بين اللام والنون:

وأَبْقَى طُولَ الدَّهْرِ مِنْ عَصاتها*** بَقِيَّةَ أَزْمِلٍ كَأَزِيزِ الطُّبْلِ(أبوعبيدة1905 ، 133/1)

قال ابو عبيدة: (طبل تخم من تخوم خراج مصر والطبل أيضاً الناس، يقال : ما أدري أيّ الطبل هو وأيّ الطبن هو....) (أبوعبيدة1905 ، 133 – 134)

جاء في لسان العرب :(والطبل الخلق ، وما أدري أيّ الطبل هو، وأيّ الطبن أي ما أدرى الطبن أي ما أدرى أيّ الناس. والطبن هو الجمع الكثير من الناس .والطبن الخلق، يقال: ما أدري أيّ الطبن هو بالتسكين ،كقولك :ما أدرى أيّ الناس هو)(ابن منظور ب ت ، 398/11) فالطبل والطبن بمعنى واحد، وبالتالي فاللام والنون متعاقبان.

أَلَسْتُمْ عَائِدِيَّ بِنَبْلِ لَعَنَّا *** نَرَى العَرَصَاتِ أو أَثَرَ الخِيَامِ(الفرزدق ب ت ، 290/2)

قال أبو عبيدة: ((لعنّا في معنى لَعَلَّنَا) (أبوعبيدة1905، 2 / 004)ويقال :علّك تفعل، ولعلّ أفعل ،ربَّما قالوا: علَّنِي ولَعَنِّي(ابن منظور ب ت ، 11 / 474)

بين الميم والنُّون:

فُقَيْرةُ مِنْ قِنِّ لِسَلْمَى بنِ جَنْدَلٍ** أَبُوكِ ابْنُهَا وابْنُ الإماءِ الخَوَادِمِ

وأَوْرَثَكَ القَيْنَ العَلاةَ ومِرْجَلاً** ولإصلاحُ آخراتِ الفؤوسِ الكَوَازِمِ(جرير2011 ، 458)

قال أبو عبيدة:(قوله الكرازم واحدها كَرْزَم وهي الكرزن أيضاً) (أبوعبيدة1905 ،2/ 623) قال الجوهري:(الكِرْزَن والكِرْزين بالكسر فأس مثل الكِرْزَم والكرزيم)(الجوهري1999 ، 767/2)

بين الدَّال والطاء: ويَظَلُّ يَتْبَعُهُنَّ وهو مَقْرَمِدٌ *** مِنْ خَلْفِهِنَّ كَأَنَّه بِشِكَالِ(الفرزدق ب ت، 168/2)

قال أبو عبيدة: (مقرمد و مقرمط سواء وهو تقارب شحو الخَطْو) (أبوعبيدة1905 ، 293/1)

جاء في لسان العرب:(القرمد كل ما طُلِّيَ به للزينة كالجصِّ والزِّعفران. وثوب مقرمد بالزعفران والطيب أي مطلّي به.وقيل: القرمد: حجارة لها خروق يوقد عليها حتَّى إذا نَضِجَتْ بُنِيَ بها؛ قال ابن دُريد:هو روميٌّ تكلّمت به العرب قديماً. وجاء في معنى(قَرمط) القرمطيط : المتقارب الخطو. وقرمط في خطوه إذا قارب ما بين قدميه.(ابن منظور ب ت ، 352/3 ، 377) وهذا المعنى الأخيرهو الذي أشار إليه أبو عبيدة ، ولكن معنى (قرمد) مخالف لهذا المعنى. وبما أنَّ المعنيين مختلفان فليس هناك معاقبة بين (الدَّال والطاء) في (قرمط وقرمد) ؛ لاختلاف دلالة اللفظين.

بين الزَّاي والصَّاد: وَجَذَاهُمُ قَذَاذِعَ مُلْزَقَاتٍ *** بلا نبعٍ نَبْتَنَ ولا ذُضَارِ(جرير 2011 ، 148)

قال أبو عبيدة: (ويُروى مُلْصَقات). (أبوعبيدة1905 ، 1/ 356)

جاء في لسان العرب:(لَزِقَ الشيءُ بالشيءِ لزوقاً .كلصق والتزقَ التزاقاً ، وقد لصق ولزق ولسق، وألزقه كألصقه، وألزقه به غيره، ولازقه كلاصقه. ولصق به يلتصق لصوقاً : وهي لغة تميم.

وقيس تقول لسق بالسين ،وربيعة تقول لزق وهي أقبحها.(ابن منظور ب ت ، 10/ 329). وجاء في معجم الفصيح في اللهجات العربية:(اللسق مثل اللصق، لغتان في لذوق الرِّئة بالجُبْ من العطش . يقال :لسق البعير ولصق. قال ابن سيده : لَسِقَ لغة في لَصِق، ولَسِقَ به ولَصِق به، والتسق به والتزق، وألسقه به غيره وألصقه .وفلان لِسْقي ولِصْقي وبِلِسْقي وبِلِصْقي، ولِسيقي ولِصيقي؛ أي بجنبي). (أديب 2000 ، 506–507)

بين الثاء والسين: ألا حَيِّيَا الرَّبعَ القَوَاءَ وسَلِّمَا *** وَرَبْعاً كَجُثْمَانِ الحَمَامَةِ أَنْهَمَا(أبوعبيدة1905، 42/1)

قال أبو عبيدة: : ويقال : جُثمان وجُسْمان) (أبوعبيدة1905 ، 1/ 42)

قال الليث: (الجثمان بمنزلة الجسمان جامع لكل شئ تريد به جسمه ، وألواحه . ويقال: ما أحسن جثمان الرّجل وجسمانه أي جسده) (ابن منظور ب ت ، 1284) فصوت الثاء من الأصوات التي فُقِدَتْ في اللهجة العامية–لا سيما السودانية– واستعيض عنها بالتاء نحو:تقيل: ثقيل، أو بالسين– كما حدث في الجثمان– وفي الكلمات مثل: ثابت: سابت، ثبات: سبات.

بين الثاء وا لتاء:ثُمُّ السَّنَابِكُ مُشْرِفٌ أَقْتَارُهَا *** واذا اتَّضَفَى غَاةَ كُلِّ صِقَالِ(الفرزدق ب ت ، 167/2)

قال أبوعبيدة:(ويُروي رُثْم السنابك أي مكسوره وذلّك مِنْ وطئها الحجارة من قولهم فلان أرثم وذلك إذا كانت سنُّه مكسورة... ويُروى رُتَمِ بتاء معجمة اثنتين أي مكسورة. ويقال: رَتَمَ أنفه إذا دقّه، ومَنْ روى رُثْم أراد أنَّها ملَّطخة بالدَّم) (أبوعبيدة1905، 1/ 292). قال ابن منظور:(الرَّتْم والرَّثْم، بالتاء والثاء واحد، وقد رَتَمَ أنفه ورثمه: كسره. والرَّتم :المرتوم .والرَّتْم الدّق والكسر. رَتَمَ أنفه رَتْماً ، والرُّتام: المتكسِّر. والرَّثْم كسر من طرف منسم البعير. وقال الأصمعي: الرَّثْم أصله الكسر، وقال أبو منصور: وكلُّ كسْرٍ ثْرم ورَثْم ورَتْم)(ابن منظور ب ت ، 225/12)

بين الثاء والفاء: ومَا عَلَمُ الأَقْوَامِ مِثْلَ أَسِيرِنَا *** أَسْوَاً ولا أَجْفَاهُمُ بالكَوَاظِمِ (الفرزدق ب ت ، 2/ 314)

قال أبو عبيدة:(أجدافنا لغة تميم، ويُروى أجداثنا،والجَثّ القبر،ويقال:جَفّ وجَثّ) (أبوعبيدة1905 ، 848/2)

جاء في لسان العرب: (الجَفّ القبر، والجمع أجداف ، وكرهها بعضهم ، وقال : لا جمع للجَفّ لأنَّه قد ضعف بالإبدال فلم ينصرف. الجوهري: الجَفّ القبر وهو إبدال الجَثّ، والعرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة فيقولون:

جَثَ وجَفَ، وهي الأجداث والأجداف)(ابن منظور ب ت، 24/9). فالفاء مبدلة عن الثاء في(جدف وجدث) فقد حدث تطور صوتي، وذلك لتقارب الفاء والثاء في المخرج واتفاقهما في الصفة فهما حرفان مرققان ، حيث إنّ مِنْ معاني(جدف) أنَّه: جناحا الطائر ؛ مِجْدَافاه ومنه مِجْداف السفينة.

بين العين والحاء: مِنَ السُّودِ السَّراعِف ما يُبَالي *** أَلِيلاً ما تَلَطَّخَ أُمنهَ اَرا (الفرزدق ب ت ، 357/1)

قال أبو عبيدة: (ويُروى السَّراحف،وهي القصار، والسَّراهف والسَّراعف الجُعلان) (أبوعبيدة1905 ، 260/1) يقال :صَبَحتُ للإبل وصَبَغتُ سواء. قال بعضهم" ضَبَحْتُ بمنزلة ضَبَغْتُ. قال الأصمعي: يقال إنَّه لَغْضَاج وحفضّاج: إذا انفتق وكثر لحمه. ويقال رجل غُاضج. ويقال: بحثروا أمتاعهم وبعثروا أي فرّقوه. ويقال للمرأة إذا كانت تبذؤ وتجئ بالكلام القبيح والفحش :هي تُحْظَى ،وتُعْظَى، وتُخْذَى ،وقد عَظَى الرَّجُل وحَظَى ؛ بمعنى واحد)(ابن السكيت1978 ، 56) وقد تعاقب صوتا(العين والحاء) في(السراعف ، والسَّراحف) لأنهما من مخرج واحد فهما صوتان حلقيان.

النتائج والتوصيات:

فلقد كان مفيداً أنْ حاولنا بعون الله وتوفيقه إنجاز هذا البحث أنْ نستخلص بعض النتائج المهّمة والتي تتمثل في الآتي:

توصلت الدِّراسة إلى مادةٍ صوتية غزيرة أشار إليها أبوعبيدة في شرحه لنقائض جرير والفرزدق ؛ والمتمثّلة في: المماثلة ، والمخالفة ، والقلب المكاني ، والإبدال اللغوي .

كشفت الدِّراسة عن وجود تأثير مباشر لأفكار أبي عبيدة في مجال علم الأصوات على كتاب لسان العرب لابن منظور، وكتاب الإبدال لابن السِّكِّيت،و المزهر للسيوطي، وغيرهم من العلماء.

كشفت الد راسة عن دور بارزٍ لأبي عبيدة في التمهيد لنشأة الدِّراسة المعجمية لا يقلّ أهميةً عن دور مَنْ سبقوه مِنَ العلماء.

توصّلت الدِّراسة إلى نتائج في العلائق الصَّوتية بين الحركات القصيرة، حيث إنَّ المعنى المعجمي للألفاظ يرجع كلّه إلى اختلاف (الصوامت)Consonants في حين أنَّ جانباً منه يرجع إلى اختلاف الحركات (الصَّوائت)Vowels.

وأخيراً نوصي بالآتي:

الاهتمام بعلم الأصوات خاصةً في مجال الدِّراسات التطبيقية.

ضرورة إفساح المجال لمعرفة القضايا اللغوية التي أشار إليها أبوعبيدة في كتاب النقائض ؛ والمتمثلة في القضايا الصرفية، والتركيبية ، والدّلالية.

إفراد دراسة تتناول(الهمزة) في الفكر اللغوي لأبي عبيدة.

المراجع:

1. أديب ، محمد (2000م) معجم الفصيح في اللهجات العربية . الطبعة الأولى. الرِّياض. مكتبة العبيكان .
2. ابن الأنباري ، كمال الدين (1998م) نزهة الألباء في طبقات الأدباء . القاهرة. دار الفكر العربي .
3. الأندلسي، أبوحيَّان (1989م) ارتشاف الضَّرب من لسان العرب . تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النَّمَّاس. الطبعة الأولى . القاهرة . مطبعة المدني .
4. أنيس ، إبراهيم (ب ت) الأصوات اللغوية . مكتبة الأنجلو المصرية .
5. أنيس ، إبراهيم (ب ت) المعجم الوسيط. القاهرة. دار المعارف .
6. باي، ماريو (1973م) أسس علم اللغة . ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر. منشورات جامعة طرابلس .
7. جرير (2011م) ديوانه . تحقيق وشرح كرم البستاني . بيروت . دار صادر.

8. ابن جنّي (2003م) الخصائص . تحقيق عبدالمجيد هنداوي . الطبعة الثانية . بيروت . دار الكتب العلمية .
9. الجوهري (1999م) الصِّحاح . تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب . والدكتور محمد نبيل طريفي . الطبعة الأولى . بيروت . دار الكتب العلمية .
10. حلواني ، محمد خير (1999م) . المغني الجديد في علم الصرف . الطبعة الخامسة . بيروت . دار الشرق العربي .
11. الحموي ، ياقوت (1993م) معجم الأدباء . تحقيق الدكتور إحسان عباس . الطبعة الأولى . بيروت . دار العرب الإسلامي .
12. الخطيب البغدادي (1997م) معجم الأدباء . تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. الطبعة الأولى . بيروت . دار الكتب العلمية .
13. ذو الرمة (1998م) ديوانه . شرح عمر فاروق الطباع . الطبعة الأولى . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .
2. 14 زيدان ، جورجي (ب ت) الفلسفة اللغوية . القاهرة . دار الهلال .
3. 15- ابن السكّيت (1978م) الإبدال – تحقيق حسين محمد محمد شرف . القاهرة.
4. 16- سيبويه (2006م) الكتاب – تحقيق عبدالسلام محمد هارون . الطبعة الرَّابعة. القاهرة . مكتبة الخانجي .
5. 17- السيوطي (1986م) المزهر في علوم اللغة وأنواعها . تحقيق محمد جاد المولى . وعلى البجاوي . بيروت . المكتبة العصرية .
6. 18- السيوطي (1954م) سر صناعة الإعراب . تحقيق مصطفى السقا .وجماعة البابي الحلبي . القاهرة .
7. 19- السيوطي (2001م) الهمع . شرح وتحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم . القاهرة . عالم الكتب .
8. 20- شاهين ، عبدالصبور (1986م) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. القاهرة . مكتبة الخانجي .
9. 21- الطبري (2003م) جامع البيان عن تأويل آية القرآن . تحقيق الدكتور عبدالله المحسن التركي . الطبعة الأولى . الرِّياض . عالم الكتب .
10. 22- أبوالطيب اللغوي (1960م) الإبدال . تحقيق عزالدين الشوفي . دمشق .
11. 23- عبدالتوَّاب ن رمضان (1995م) التطور اللغوي . الطبعة الثانية . القاهرة . مكتبة الخانجي .
12. 24- عبدالواحد ، علي (2004م) علم اللغة . الطبعة التاسعة . بيروت . دار الشرق .
13. 25- أبوعبيدة (1905م) النقائض . تحقيق أنتوني بيفان . لندن .
14. 26- علي كمال ، حازم (1999م) دراسة في علم الأصوات . الطبعة الأولى . القاهرة . مكتبة الآداب .
15. 27- الفراهيدي (ب ت) العين . تحقيق الدكتور مهدي المخزومي . القاهرة . دار ومكتبة الهلال .
16. 28- الفرزدق (ب ت) ديوانه . تحقيق وشرح كَرم البستاني . بيروت . دار صادر .
17. 29- فندريس ، جوزيف (1970م) اللغة. تعريب صلاح العربي – القاهرة . الجامعة الأمريكية .
18. 30- الفيومي (2001م) المصباح المنير . بيروت . مكتبة لبنان ناشرون .
19. القفطي (1955م) إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة . تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم . القاهرة . دار الكتب المصرية .
20. 32- محمد ، غانم (2006م) لغويَّات . عَمَّان . جُهَينَة للنشر والتوزيع .
21. 33- محمد ، مجدي (2006م) في أصوات العربية . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .

22. 34- محمود ، درويش (2011م) الهمزة في العربية . الطبعة الأولى . بيروت . المكتبة العصرية .
23. 35- ابن منظور (ب ت) لسان العرب . بيروت . دار صادر .
24. 36- ابن يعيش (2001م) شرح المفصَّل . تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب . بيروت . دار الكتب العلمية .